

إِنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ الْحَنِيفَ بِتَوَجِيهَاتِهِ السَّدِيدَةِ وَإِرْشَادَاتِهِ الْحَمِيدَةِ صَانَ الْمَرْأَةَ الْمُسْلِمَةَ، وَحَفَظَ لَهَا شَرَفَهَا وَكَرَامَتَهَا وَتَكْفَلَ لَهَا بِعِزِّهَا وَسَعَادَتِهَا، وَهَيَّأَ لَهَا أَسْبَابَ الْعَيْشِ الْهَنِئِءِ بَعِيداً عَنْ مَوَاطِنِ الرِّيبِ وَالْفِتَنِ وَالشَّرِّ وَالْفُسَادِ.

وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا بِعِبَادِهِ حَيْثُ أَنْزَلَ لَهُمْ شَرِيعَتَهُ نَاصِحَةً لَهُمْ وَمُصْلِحَةً لِفُسَادِهِمْ وَمَقُومَةً لَاعُوجَاجِهِمْ وَمَتَكْفِلاً بِسَعَادَتِهِمْ؛ وَمِنْ ذَلِكَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ التَّدَابِيرِ الْعَظِيمَةِ وَالْإِجْرَاءَاتِ الْقَوِيمَةِ الَّتِي تَقْطَعُ دَابِرَ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَتُعَيِّنُ عَلَى اجْتِنَابِ الْمُوبِقَاتِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْفَوَاحِشِ الْمُهْلِكَاتِ رَحْمَةً مِنْهُمْ وَصِيَانَةً لِأَعْرَاضِهِمْ وَحِمَايَةً لَهُمْ مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

وَالْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ تَعِيشُ فِي كَنْفِ الْإِسْلَامِ وَفِي ضَوْءِ تَوَجِيهَاتِهِ وَأَدَابِهِ الْعِظَامِ عَيْشَةً هَنِئُوءَ مِلْؤُهَا السَّعَادَةُ وَالْعِزُّ وَالطَّمَأْنِينَةُ وَالرَّفْعَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، شِعَارُهَا السِّرُّ وَالْعَفَافُ، وَدِثَارُهَا الطَّهَرُ وَالزَّكَاةُ، وَرَايَتُهَا إِشَاعَةُ الْأَدَبِ وَتَثْبِيتُ الْأَخْلَاقِ، وَغَايَتُهَا صِيَانَةُ الشَّرَفِ وَحِمَايَةُ الْفَضِيلَةِ، وَسَتْبَقِي الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ رَفِيعَةَ الْجَانِبِ، عَزِيزَةَ الْمَنَالِ، صَيِّئَةَ الْأَخْلَاقِ مَا دَامَتْ مُتَمَسِّكَةً بِدِينِهَا، مُحَافِظَةً عَلَى أَوَامِرِ رَبِّهَا، مُطِيعَةً لِنَبِيِّهَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مُسْلِمَةً وَجْهَهَا لِلَّهِ، مُذْنَعَةً لَشَرِّهِ وَحُكْمِهِ، قَائِمَةً بِحُقُوقِ الْإِسْلَامِ وَوِاجِبَاتِهِ وَأَدَابِهِ الْعِظَامِ بِكُلِّ رَاحَةٍ وَثِقَةٍ وَاطْمِئْنَانٍ غَيْرِ مُلْتَفِتَةٍ إِلَى الْهَمَلِ مِنَ النَّاسِ مِنْ دُعَاةِ الْفَاحِشَةِ وَالْفِتْنَةِ؛ لَتَنَالَ بِذَلِكَ السَّعَادَةَ وَالرَّاحَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَتَنَالَ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ وَالْأَجْرَ الْجَزِيلَ يَوْمَ لِقَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْإِسْلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْفِتْنَةَ بِالنِّسَاءِ إِذَا وَقَعَتْ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ

الْمَفَاسِدِ وَالْمَضَارِّ مَا لَا يُدْرِكُ مَدَاهُ وَلَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ، وَلِهَذَا خَافَهَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ خَوْفًا عَظِيمًا، وَحَذَّرَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - كَثِيرًا مِنْ مَغْيِبَتِهَا وَسُوءِ عَاقِبَتِهَا نُصْحًا لِلأُمَّةِ وَمَعْذَرَةً فِي بَيَانِ دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَقَدْ كَانَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مُعَلِّمًا أَمِينًا وَنَاصِحًا مُشْفِقًا، فَمَا تَرَكَ خَيْرًا إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ وَلَا شَرًّا إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»** (١)، وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»** (٢).

وَالْأَحَادِيثُ عَنْ نَبِيِّنَا - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - كَثِيرَةٌ جَدًّا فِي هَذَا الْبَابِ الْعَظِيمِ؛ صِيَانَةً لِلْمُجْتَمَعِ وَالْأُمَّةِ، وَمُحَافَظَةً عَلَى الْمَرْأَةِ وَرِعَايَةً لَهَا، وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَغَيْرُهَا مِمَّا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُعَدُّ بِحَقِّ صِمَامِ أَمَانٍ لِلْمَرْأَةِ وَلِبَيْتِهَا وَلِمُجْتَمَعِهَا بِأَسْرِهِ مِنْ أَنْ تَحُلَّ بِهِ الرَّذِيلَةُ أَوْ أَنْ يَتَشَبَّهَ فِيهِ الشَّرُّ وَالْفُسَادُ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ مَتَى تَمَسَّكَتْ بِتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ سَعَدَتْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَسَاعَدَتْ فِي بِنَاءِ مُجْتَمَعٍ قَوِيٍّ مُتِمَّاسِكٍ زَيَّيْهِ مَلِيٍّ بِالطَّهَرِ وَالْعَفَافِ، وَإِنْ تَخَلَّتْ عَنْ هَذِهِ التَّعَالِيمِ تَرَدَّتْ فِي مَهَاوِي الرَّذِيلَةِ وَسَقَطَتْ فِي حِمَاةِ الْفُسَادِ وَفَقَدَتْ كَرَامَتَهَا وَمَكَانَتَهَا وَمَنْزِلَتَهَا الرَّفِيعَةَ، فَإِنَّهَا إِنْ تَلَوَّتْ بِالرَّذِيلَةِ جَلَبَتِ الْعَارَ وَالشَّنَارَ لِنَفْسِهَا وَأَهْلِهَا وَقَرَابَتِهَا، وَنَكَسَتْ رُؤُوسَهُمْ وَحَطَّتْ مِنْ أَقْدَارِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِنْ أَدْخَلَتْهُ عَلَى زَوْجِهَا أَوْ أَهْلِهَا أَدْخَلَتْ عَلَيْهِمْ أَجْنَبِيًّا لَيْسَ مِنْهُمْ، يَخْلُو بِهِمْ وَيُرْثُهُمْ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ.

وَمِنْ يَتَأَمَّلُ التَّارِيخَ عَلَى طُولِ مَدَاهُ يَجِدُ أَنَّ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ انْهِيَارِ الْحَضَارَاتِ وَتَفَكُّكِ الْمُجْتَمَعَاتِ وَتَحُلُّلِ الْأَخْلَاقِ وَفُسَادِ الْقِيَمِ وَفُشُوِّ الْجَرَائِمِ هُوَ تَبَرُّجُ الْمَرْأَةِ، وَمُخَالَطَتُهَا لِلرِّجَالِ، وَمُبَالِغَتُهَا فِي الزَّيْنَةِ وَالِاخْتِلَاطِ، وَخَلْوَتُهَا مَعَ الْأَجَانِبِ، وَارْتِيَادُهَا لِلْمَتَنِدِيَّاتِ وَالْمَجَالِسِ الْعَامَّةِ وَهِيَ فِي أَتَمِّ زِينَةٍ وَأَجْمَلِ تَجَمُّلٍ. قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: **«وَلَا رَيْبَ أَنَّ تَمَكُّينَ النِّسَاءِ مِنْ اخْتِلَاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ أَصْلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَشَرٍّ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نُزُولِ الْعُقُوبَاتِ الْعَامَّةِ، كَمَا أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ فُسَادِ أُمُورِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَاخْتِلَاطِ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ سَبَبٌ لَكثْرَةِ الْفَوَاحِشِ وَالزِّنَا، وَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ الْمَوْتِ الْعَامِ وَالطَّوَاغِينِ الْمُتَصِلَةِ»** (٣) انْتَهَى كَلَامُهُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وَالْإِسْلَامُ لَمْ يَفْرَضْ عَلَى الْمَرْأَةِ الْحِجَابَ وَلَمْ يَمْنَعْهَا مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ إِلَّا لِيَصُونَهَا عَنِ الْإِبْتِدَالِ، وَلِيَحْمِيَهَا مِنَ التَّعَرُّضِ لِلرِّبَةِ وَالْفُحْشِ، وَلِيَمْنَعْهَا مِنَ الرُّقُوعِ فِي الْجَرِيمَةِ وَالْفُسَادِ، وَلِيَكْسُوَهَا بِذَلِكَ حُلَّةَ التَّقْوَى وَالطَّهَارَةِ وَالْعَفَافِ، وَسَدَّ بِذَلِكَ كُلَّ ذَرِيعَةٍ تَقْضِي إِلَى الْفَاحِشَةِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَقَنْ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: 33]، وَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقَاؤِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبُهُنَّ﴾** [الأحزاب: 53]، وَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَتَّقُضْنَ مِنْ أَنْصُرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُفُوهِنَّ عَلَى خُفُوهِنَّ﴾** [النور: 31]، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ أَذْنَقُ أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾** [الأحزاب: 59]، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾** [الأحزاب: 32].

الْإِخْتِلَافُ

4